السحر وهاروت وماروت

دراسة قرآنية

بقلم
د / شعبان محمد عطية على
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ...

فقد حرصت الشريعة الإسلامية على سلامة الاعتقاد فى قلب كل مسلم ومسلمة حتى يكون ذلك القلب دائما وأبدا على صلة بخالقه جل وعلا ، لا يعتمد على غيره ، ولا يتوكل على سواه ، وهو مع هذا وذاك يستعين به فى كل شدائد الحياة ، ولا يتوجه لغيره فى الدعاء فقد أخرج أحمد والترمذى واللفظ له عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوما ، فقال: (يا غلام إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1] ، ثم قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

ومن هنا أيضاً فإن المسلم كذلك لا يقر لغيره تعالى بأدنى تأثير أو تحكم فى أى قانون من قوانين الوجود التى خلقها الله تعالى ، وسيرها بعلمه وحكمته وقدرته بنظام دقيق محكم (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[2] .

ومعنى هذا أن الكواكب والنجوم مسخرة بأمره تسير وفق ما رسم لها خالقها فى الأزل وبالتالى لا تؤثر حركتها على حياة الإنسان أو موته مثلاً ، فلا يبدأ عمر انسان بظهور كوكب أو نجم ، أو يموت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج٣ حديث رقم ٢٦٦٩ .

وأخرجه الترمذى بإسناده فى السنن كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ٥٩ حديث رقم ٢٥١٦ وأخرجه الحافظ المزى بإسناده فى تهذيب الكمال فى ترجمة قيس بن الحجاج الحميرى الكلاعى ٣٠٣/١٥ .

(٢) سورة يس الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

باختفائه ، وهذا ما صرح به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه حين مات ولده إبراهيم ووافق هذا كسوفا للشمس فقال بعضهم: كسفت الشمس لموت إبراهيم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا[٢] .

فإن زعم زاعم أنه يعلم الغيب عن طريق اتصاله بالكواكب وتعظيمه لها، أو باتصاله بالجن والشياطين وبالتالى يستطيع أن يؤثر فى قوانين هذه الحياة ويتحكم فيها بما يخرجها عما رسمه الله تعالى لها يكون بذلك قد خالف شرعة الله تعالى التى أوضحها لعباده فى محكم تنـزيله، وتجاوز الحدود التى وضعت له فلا جرم أن يحكم عليه بالكفر لتعظيمه غير الله تعالى ، واستعانته بغير الخالق.

والمسلم الحق يعلم -بنص القرآن- أن الساحر قد يستطيع إيصال الضر والبلاء والأذى بالناس، وقد يصل الأمر به إلى التفريق بين المرء وزوجه ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك إلا بإذن من الله تعالى قطعا ، قال تعالى : (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)[٢] .

(١) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الكسوف - باب الصلاة فى كسوف الشمس ٦١١/٢ وأخرجه الإمام النسائى فى سننه فى كتاب الكسوف - باب كسوف الشمس والقمر بلفظ جد مقارب ٢٤٢/٢ حديث ١٤٥٨ والإمام أحمد فى مسند جابر بن عبد الله بنحوه ٤٤١/١١ حديث رقم ١٤٣٥٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

ومن أجل هذا كانت هذه الدراسة لبيان معنى السحر وما يتعلق به من أحكام شرعية وذلك على النحو التالى :

أ - معنى السحر وهل هو حقيقة أو تخييل ؟

ب- أنواع السحر .

ج - حكم السحر ، وهل يكفر الساحر ؟

د - هل يجوز تعلم السحر ؟

هـ - حقيقة ما نسب إلى هاروت وماروت .

* * *

أولاً : معنى السحر :

السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر والجمع أسحار وسحور .. والسحر: البيان فى فطنة كما جاء فى الحديث : أن قيس بن عاصم المنقرى والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم قدموا على النبى -صلى الله عليه وسلم- فسأل النبى -صلى الله عليه وسلم- عمرا عن الزبرقان فأثنى عليه خيرا، فلم يرض الزبرقان بذلك ، وقال : يا رسول الله ، إنه ليعلم أننى أفضل مما قال ولكنه حسد مكانى عندك فأثنى عليه عمرو شرا ثم قال : والله ما كذبت عليه فى الأولى ولا فى الآخرة ولكنى أرضانى فقلت بالرضا ثم أسخطنى فقلت بالسخط فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن من البيان لسحرا)[١] .. قال ابن الأثير : أى ما يصرف قلوب السامعين.. قال الأزهرى: وأصل السحر صرف الشىء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق وخيل الشىء على غير حقيقته قد سحر لشىء عن وجهه أى صرفه)[٢] .

ومن هذا يعلم أن السحر يطلق على كل أمر يخفى سببه ويتصور على غير حقيقته فكأن الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق ، وخيل الشىء على غير حقيقته قد سحر الشىء عن وجهه أى صرفه والسحر كعلم يعرف بأنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات[٣] .

هل للسحر حقيقة وتأثير فى الواقع ؟

اختلف العلماء فى أمر السحر هل له حقيقة وتأثير فى الواقع

(١) أصل القصة بدون ذكر الأشخاص أخرجها البخارى فى كتاب الطب باب إن من البيان لسحراً (٢٤٧/١٠ فتح البارى) .

(٢) لسان العرب مادة سحر ١٠٦/٢ وما بعدها .

(٣) أحكام القرآن لابن العربى ٣١/١ .

أم هو شعوذة وتخييل ؟ فقال جمهور علماء أهل السنة بالأول واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها قوله تعالى : (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) .

فالآية ناطقة بكون سحرهم كان حقيقياً حيث أمكنهم بواسطته أن يفرقوا بين المرء وزوجه عن طريق إلقاء العداوة بين الزوجين بالسحر رغم قوة العلاقة بينهما وإن كان هذا الضرر متوقفا على مشيئة الله تعالى قال ابن كثير رحمه الله : (أى فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف وهذا من صنيع الشياطين[١].. كما رواه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن طلحة ابن نافع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئا! ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت[٢] .

وقال الشوكانى فى إسناد التفريق إلى السحرة وجعل السحر سبباً لذلك دليل على أن للسحر تأثيرا فى القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد[٣].

ومنها قوله تعالى : (ومن شر النفاثات فى العقد) ..

فالآية ناطقة بعظيم أثر السحر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شر السحرة الذين ينفثون فى العقد .

ومنها ما أخرجه البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجل من بنى زريق يقال له : لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله -صلى الله عليه

(١)أخرجه مسلم فى كتاب المنافقين باب عرش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس ١٧١/٩، ١٧٢.

(٢) ابن كثير ٢١٤/١ .

(٣) الشوكانى ١٢٠/١ .

وسلم- يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندى، لكنه دعا ودعا ، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم: (الحديث)[١] .

ففى الحديث التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله وهذا قطعا فيما لا تعلق له بالوحى ألبتة ، بل فيما يتعلق بالأمور الدنيوية فقط وليس فى هذا ما يطعن فى رسالته خلافا لمن توهمه. قال الحافظ ابن حجر: (..وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر من الأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدين ، قال - يعنى الإمام المازرى- وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان -صلى الله عليه وسلم- يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرا ما يقع تخيلـــه للإنسان فى المنام فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة قال ابن

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الطب باب السحر ٢٣٢/١٠ وأخرجه النسائى فى السنن بنحوه فى كتاب تحريم الدم (٢٠) سحرة أهل الكتاب ٣١/٤ حديث رقم ٤٠٩١ ، ومعنى مطبوب أى مسحور .

حجر وهذا قد جاء صريحاً فى رواية ابن عيينة ولفظه (حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن!)[١] .

قال عياض : (فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده)[٢] .

أقول إذا كان هذا رأى جمهور أهل السنة من أن السحر حقيقة وله تأثير فى الواقع وبإذنه تعالى فإن جمهور المعتزلة وبعض أهل السنة يعتبرون السحر مجرد تخييل وشعبذة ولا حقيقة له ولهم على ذلك أدلة أهمها :

قوله تعالى : (سحروا أعين الناس) ..

فالآية ناطقة بكون السحر للأعين فحسب .

وقوله تعالى : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) ..

فالآية دالة على أن السحر مجرد تخييل لا حقيقة له ..

وقوله تعالى : (ولا يفلح الساحر حيث أتى) ..

فالساحر لا يمكن أن يكون على حق مطلقاً بدليل نفى الفلاح عنه واستدلوا كذلك بأنا لو جوزنا ذلك لتعذر الاستدلال بالمعجزات على النبوات لأنا لو جوزنا استحداث الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية لم يمكنا القطع بأن هذه الخوارق التى ظهرت على أيدى الأنبياء عليهم السلام صدرت عن الله تعالى ، بل يجوز فيها أنهم أتوا بها من طريق السحر، وحينئذ يبطل القول بالنبوات من كل الوجوه[٣] .

الترجيح :

من خلال أدلة الفريقين السابقة أرى أن رأى الجمهور أهدى سبيلاً، وأقوى دليلاً وهو القول بأن للسحر حقيقة وتأثيراً على النفس الإنسانية فإن إلقاء العداوة بين الزوجين والتفريق بينهما والذى أثبته القرآن ليس إلا أثراً من آثار السحر، وإن كان ذلك متوقفاً من قبل ومن بعد على مشيئة الله تعالى قطعاً.

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الطب باب هل يستخرج السحر ٢٤٣/١٠ فتح) .

(٢) فتح البارى ٢٣٧/١٠ .

(٣) مفاتيح الغيب ١ / ٢٢٣ .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: (قوله -ما يفرقون به بين المرء وزوجه) إشارة إلى جزئى من جزئيات السحر، وهو أقصى تأثيراته إذ فيه التفرقة بين طرفى آصرة متينة إذ هى آصرة مودة ورحمة قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فإن الرحمة وحدها آصرة عظيمة وهى آصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما: والرحمة وحدها آصرة منها الأبوة والبنوة ، فما ظنكم بآصرة جمعت الأمرين وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو فى أقصى درجات الإتقان.. وهذا التفريق يكون باستعمال مفسدات لعقل أحد الزوجين حتى يبغض زوجه، وإما بإلقاء الحيل والتمويهات والنميمة حتى يفرق بينهما)[١] .

ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً[٢] .

وأيضاً لو لم يكن للسحر تأثير وحقيقة لما أمرنا الله عز وجل بالاستعاذة من شره أما ما استدل به المعتزلة من أدلة سبقت فيمكن الجواب عنها .

فمثلاً استدلالهم بقوله تعالى : (سحروا أعين الناس) وبقوله تعالى : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) على أن السحر إنما هو للعين فقط أى مجرد تخييل كما صرحت به الآية الثانية والتى تعتبر أقوى ما استدلوا به على دعواهم، ولا حجة لهم بها لأن هذه وردت

(١) التحرير والتنوير ٦٤٤/١ الدار التونسية بدون تاريخ .

(٢) فتح البارى ٢٣٣/١٠ .

فى قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك ، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر كذلك)[١] .

وأما الاستدلال بقوله (ولا يفلح الساحر حيث أتى) على أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق مطلقاً بدليل نفى الفلاح عنه فيجاب عن هذا بما قال العلامة ابن حجر فى الفتح ، فى الآية نفى الفلاح عن الساحر، وليست فيه دلالة على كفر الساحر مطلقا، وإن كثر فى القرآن اثبات الفلاح للمؤمن ونفيه عن الكافر، لكن ليس فيه ما ينفى الفلاح عن الفاسق وكذا العاصى[٢] .

وأما القول بأنه لو كان للسحر حقيقة لما أمكن التفريق بين المعجزة والسحر فيجاب عن هذا بأن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد ، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك ، بل إنما تقع غالباً اتفاقا، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدى، ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق.. قال ابن حجر: وينبغى أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه ، فإن كان متمسكاً بالشريعة مجتنباً للموبقات فالذى يظهر على يده من الخوارق كرامة ، وإلا فهو سحر ، لأنه ينشأ عن أحد أعوانه كإعانة الشياطين[٣] .

قلت : وإن كان الذى يقع الخارق منه مدعى للنبوة فهى المعجزة إذ لا يعقل أن يظهر الله عز وجل الخارق للعادة على يد كاذب مدعى للنبوة وإلا لالتبس الأمر على الناس .

قال الإمام الرازى:(.. إن الإنسان لو ادعى النبوة وكان كاذباً فى دعواه فإنه لا يجوز من الله تعالى إظهار هذه الأشياء على يده لئلا يحصل التلبيس أما إذا لم يدع النبوة وأظهر هذه الأشياء على يده لم يفض ذلك إلى التلبيس فإن المحق يتميز عن المبطل بما أن المحق

(١) فتح البارى ١٠ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ١٠ / ٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق ١٠ / ٢٣٣ .

تحصل له هذه الأشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا تحصل له هذه الأشياء مع ادعاء النبوة)[١] قلت : والمعجزة كذلك لا يمكن الله أحداً أبداً أن يأتى بمثلها أو معارضتها بخلاف السحر .

وعليه فلا مانع من إظهار الخوارق للعادات على يد الكاذب حتى لقد قال الإمام القرطبى : (لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس فى مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر، قالوا : ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج فى الكوات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة والجرى على خيط مستدق، والطيران فى الهواء، والمشى على الماء، وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجبا لذلك ولا علة لوقوعه ولا سبباً مولداً ، ولا يكون الساحر مستقلاً به ، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل، والرى عند شرب الماء، وروى سفيان عن عمار الذهبى أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة يمشى على الحبل، ويدخل فى است حمار ويخرج من فيه ، فاشتمل له جندب على السيف فقتله جندب، قال القرطبى - هذا هو جندب بن كعب الأزدى ويقال : الجبلى وهو الذى قال فى حقه النبى -صلى الله عليه وسلم- يكون فى أمتى رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بين الحق والباطل[٢] فكانوا يرونه جندباً هذا قاتل الساحر.. ثم قال : أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجمى وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام. فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر ، قال

(١) مفاتيح الغيب ٢٣٢/١ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق فى ترجمة عبيد بن لاحق وابن حجر فى الإصابة فى ترجمة جندب ابن كعب الأزدى وضعفه... وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال من طرق ثلاثة لا تخلو من وجه الضعف. .

القاضي أبو بكر بن الطيب : وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه أجزناه[١] .

قلت تبين لنا بما سبق اتفاق مذهب جمهور أهل السنة مع نصوص القرآن والسنة من أن السحر له حقيقة وتأثير لكن ذلك متوقف على مشيئة الله تعالى إذ لا يقع فى ملك الله إلا ما أراد وكيف لمسلم أن يتصور خلاف هذا وهو الذى يعلم أن الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه ويدرك المسلم أن إعتقاد خلاف هذا هو الإشراك بالله بعينه وهو أمر قامت البراهين القطعية على بطلانه ، وبالتالى تنفر منه الطباع السليمة فضلاً عن القلوب المؤمنة التى تذوقت حلاوة الإيمان وخالطت بشاشته قلوبهم بحيث أصبح حقيقة كامنة فى قلوبهم، ومن هنا لا يتصور من مؤمن هذا حاله اعتقاد أن السحر يمكن أن ينفع أو يضر بدون إذنه تعالى والله أعلم .

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٤٣/١ ، ٥٤٤ .

أنواع السحر

السحر من المعارف القديمة التى ظهرت فى منبع المدنية الأولى فى بلاد الكلدان والبابليين ومصر فى القرن الأربعين قبل ميلاد المسيح عليه السلام مما يدل على أنها كانت فى تينك الأمتين من تعاليم أقوام نشأوا قبلهما ، فقد وجدت آثار مصرية سحرية فى عصر العائلتين الخامسة والسادسة من الفراعنة (٣٩٥١-٣٧٠٣) ق.م وقد نقلته الأمم عن هاتين الأمتين وأكثر ما نقلوه عن الكلدانيين فاقتبسه منهم السريان (الآشوريون) واليهود والعرب وسائر الأمم المتدينة والفرس واليونان والرومان[١] ، هذا وقد ذكر الإمام ابن حجر فى الفتح عن الراغب وغيره للسحر أنواعاً منها ما لطف ودق ومنه سحرت الصبى : خادعته واستملته، وكل من استمال شيئاً فقد سحره ومنها ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو صرف ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، ومنها ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ومنها ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنـــزال روحانياتها بزعمهم قال: وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم[٢] .

وقد ذكر هذه الأنواع الإمام الرازى فى تفسيره وزاد ولكن هذه الأنواع وغيرها لا تخرج عن أصول ثلاثة كما ذكر ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال: وأصول السحر ثلاثة :

الأول : زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما يعتاده الساحر من التأثير النفسانى ، ومن الضعف فى نفس المسحور ، ومن سوابق شاهدها المسحور واعتقدها، فإذا توجه إليه الساحر سُخر له وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى فى ذكر سحرة فرعون (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) .

الثانى : استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن، وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخصائص الزئبق ، ومن ذلك العقاقير المؤثرة فى العقول صلاحاً أو فساداً والمفترة للعزائم

(١) التحرير والتنوير ٦٣١/١ .

(٢) الفتح بتصرف ٢٣٢/١٠ .

والمخدرات والمرقدات على تفاوت تأثيرها وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى فى سحرة فرعون (إنما صنعوا كيد ساحر) .

الثالث : الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يخيل الجماد متحركاً وإليه الإشارة بقوله (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) .

ثم قال : وهذه الأصول الثلاثة كلها أعمال مباشرة للمسحور ومتصلة به، ولها تأثير عليه بمقدار قابلية نفسه الضعيفة وهو لا يتفطن لها ومجموعها هو الذى أشارت إليه الآية،، وهو الذى لا خلاف فى إثباته فى الجملة دون تفصيل، وما عداها من الأوهام والمزاعم هو شىء لا أثر له و وذلك كل عمل لا مباشرة له بذات من يراد سحره ، ويكون غائباً عنه ويدعى أنه يؤثر فيه وهذا مثل رسم أشكال يعبر عنها بالطلاسم أو عقد خيوط والنفث عليها برقيات معينة تتضمن الاستنجاد بالكواكب أو بأسماء الشياطين والجن وآلهة الأقدمين..)[١] .

قلت : وهذه الأوهام والمزاعم التى ذكر الشيخ كثيراً ما يتعلق بها عوام الناس حتى من يطلقون على أنفسهم أنهم الطبقة المثقفة أو الراقية يلجأون كثيراً إلى مثل هذه الأمور يعلقون عليها آمالهم وأحلامهم طلبا لنفع أو درءاً لضر ناسين أو متناسين أن الأمور كلها بيد الله، وأنه لا يقع فى ملكه إلا ما أراد جل فى علاه هذا رغم أننا نعيش فى عصر يدعى أهله أنه عصر العلم والتقدم والعقلانية ، ومن العجيب أن تنتشر هذه الأوهام بين أمتنا والتى بين يديها أسمى هدية من الله لخلقه، ونور الله بين عباده ألا وهو القرآن الكريم إضافة إلى السنة النبوية المطهرة واللذان أعلنا حرباً شعواء على تخليص القلوب والعقول من كل ما سوى الله عز وجل، وهما فى الوقت ذاته دعوة صريحة إلى وجوب اعتقاد أن المؤثر فى كل الموجودات هو الله وحده لا شريك له ، وأن التمسك بغيره وَهْمٌ ورغم ذلك تصر بعض فئات من المسلمين على أن تعيش وراء هذه الأوهام فشأنها فى ذلك شأنها فى سائر متعلقات حياتها فإلى متى!!!

* * *

(١) التحرير والتنوير ٦٣٣/١ .

حكم السحر

لقد حذر الإسلام من السحر وذمه فى مواضع عدة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وذلك لما ينطوى عليه السحر من خباثة نفس وفساد دين ، وشر عمل، وإرعاب وتهويل على الناس، وأيضاً ما يترتب على السحر من فساد العقائد، وخلع قيود الديانة ومن سخيف الأخلاق أقول لهذه المفاسد وغيرها حذر القرآن منه فما ذكر القرآن السحر إلا فى موضع الذم يدرك هذا كله من له أدنى صلة بكتاب الله عز وجل وأما السنة فليست بأقل شأناً من القرآن فى التحذير منه فقد اعتبرته من الكبائر بعد الشرك بالله تعالى فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله : وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق... الحديث)[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تحذر من هذا العمل القبيح وتعتبره من الكبائر وهذا ما أجمع عليه أهل العلم قاطبة لكن هل تصل هذه الكبيرة بصاحبها إلى الكفر أولا ؟ .

قال صاحب المغنى : ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ، وروى عن أحمد أنه لا يكفر.. وقال أصحاب أبى حنيفة : إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء كفر، وإن اعتقد أنه تخييل لم يكفر.. وقال الشافعى : إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل له ما يلتمس منها أو اعتقد جل السحر كفر، لأن القرآن نطق بتحريمه وثبت بالنقل المتواتر والإجماع عليه وإلا فسق ولم يكفر، لأن عائشة رضى الله عنها باعت مدبرة لها سحرتها بمحضر من الصحابة[٢] ، ولو كفرت لصارت مرتدة يجب قتلها ولم يجز

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا باب إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً (فتح البارى ٤٦٢/٥).

(٢) البيهقى فى السنن ١٣٧/٨ وعبد الرزاق فى مصنفه ١٨٣/١٠ ، ١٨٧٥٠ .

اســـــترقاقها ولأنه شيء يضر بالناس فلم يكفر بمجرده كأذاهم[١] .

وقال أبو حيان : وأما حكم السحر فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعا لا يحل تعلمه ولا العمل به وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء وأما إذا كان لا يُعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه ولا العمل به ، وما كان من نوع التخيل والتخييل والدك والشعبذة فإن قصد بتعلمه العمل به والتمويه على الناس فلا ينبغى تعلمه لأنه من باب الباطل وإن قصد بذلك معرفته لئلا تتم عليه مخايل السحرة وخدعهم فلا بأس بتعلمه، أو اللهو واللعب وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره[٢] .

أما إذا كان يعتقد الساحر أنه قد يبلغ روح الإنسان فى التصفية والقوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل فالأظهر إجماع الأمة أيضا على تكفيره .

وأما إذا كان الساحر يعتقد أنه قد يبلغ فى التصفية وقراءة الرقى، وتدخين بعض الأدوية إلى حيث يخلق الله عقيب أفعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل فلا شك أنه ليس بكفر خلافا للمعتزلة[٣] .

وخلاصة ما تقدم أن السحر إذا كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر كفر كإذا كان بالتعبد للشياطين أو للكواكب واعتقاد أنها تحقق له ما يريد بمفردها فلا شك فى كفره أما إذا كان السحر من باب الشعبذة وأنه عند قراءة بعض الرقـــى يخلق الله مثلاً عقيبها ما يريد على سبيل العادة فلا يكفر بل يعزر ويستتاب قال ابن حجـــــر : (فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت

(١) المغنى لابن قدامة كتاب المرتد فصل فى السحر ١٥٦/١٢ ، ١٥٧ .
(٢) البحر ٣٢٨/١ .
(٣) مفاتيح الغيب ٢٣٢/١ بتصرف يسير .

توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عزر)[١] .

إذا تبين هذا فهل يستتاب الساحر أولاً ؟

فى المسألة روايتان إحداهما لا يستتاب وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه استتاب ساحراً، وفى الحديث عن عائشة أن الساحرة سألت أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- وهم متوافرون هل لها من توبة فما أفتاها أحد ولأن السحر معنى فى قلبه لا يزول بالتوبة فيشبه من لم يتب .

والثانية يستتاب فإن تاب قبلت توبته لأنه ليس بأعظم من الشرك ، والمشرك يستتاب ومعرفته السحر لا تمنع قبول توبته ، فإن الله تعالى قبل توبة سحرة فرعون وجعلهم من أوليائه فى ساعة ولأن الساحر لو كان كافراً فأسلم صح إسلامه وتوبته فإذا صحت التوبة منهما صحت من أحدهما كالكفر، ولأن الكفر والقتل إنما هو بعمله بالسحر لا بعلمه بدليل الساحر إذا أسلم، والعمل به يمكن التوبة منه ، وكذا اعتقاد ما يكفر باعتقاده يمكن التوبة منه كالشرك .

وهاتان الروايتان فى ثبوت حكم التوبة فى الدنيا من سقوط القتل ونحوه فأما فيما بينه وبين الله تعالى وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فيصح فإن الله تعالى لم يسد باب التوبة عن أحد من خلقه ومن تاب إلى الله قبلت توبته لا نعلم فى هذا خلافاً[٢] .

قلت : وفى المسألة اختلاف كبير بين أهل العلم ، ولكل أدلته وإن كنت أرى أن أقربها إلى الصحة القول الثانى لقوة أدلته ولأن القول بعدم قبول التوبة يفتح أبواباً من الشر أمام هؤلاء للإضرار بالناس ونصوص القرآن والسنة ناطقة بقبول توبة المشرك إذا تاب فالساحر مثله والله أعلم .

إذا ثبت هذا فهل يقتل الساحر ؟

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذه المسألة كسابقتها فيرى البعض

(١) الفتح ٢٣٥/١٠ .
(٢) المغنى بتصرف يسير ١٥٩/١٢ ، ١٦٠ كتاب المرتد فصل فى السحر .

منهم أن حده القتل نقل ذلك ابن قدامة عن عمر وعثمان بن عفان وابن عمر وحفصة وجندب ابن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز وهو قول أبى حنيفة ومالك واستدلوا على ذلك بما روى عن جندب بن عبد الله عن النبى -صلى الله عليه وسلم - أنه قال : حد الساحر ضربة بالسيف[١] وفى إسناده اسماعيل بن مسلم متكلم فيه عند علماء الجرح والتعديل واستدلوا كذلك بما روى عن بجالة قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة : اقتلوا كل ساحرٍ فقتلنا ثلاث سواحر فى يوم[٢] وهذا اشتهر فلم ينكر فصار إجماعاً وقتلت حفصة جارية لها سحرتها[٣] وقتل جندب بن كعب ساحراً كان يسحر بين يدى الوليد بن عقبة[٤] ولأنه كافر فيقتل للخبر الذى رووه .

ويرى آخرون أنه لا يقتل بمجرد السحر وهو قول الشافعى ورواية عن الإمام أحمد واستدلوا على ذلك بأن عائشة رضى الله عنها باعت مدبرة لها سحرتها ولو وجب قتلها لما حل بيعها ولأن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان ، أو زنا

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٧/٨ والطبرى فى التفسير ٣٦٦/١ ، ٣٦٧ عن عائشة .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه ٩١/٢ وعبد الرزاق فى المصنف ١٨٧٤٥/١٠ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٣٦/٨ وابن أبى شيبة فى كتاب الحدود باب ما قالوا فى السحر ٣٨٥/٦ .

(٣) البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٦/٨ وعبد الرزاق فى مصنفه ١٨٧٤٧/١٠ وابن أبى شيبة فى المصنف فى كتاب الحدود باب ما قالوا فى الساحر ما يصنع به ٥٨٣/٥/٦ .

(٤) سبق تخريجه . سبق تخريجه ص ١١

بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير حق)[١].
ولم يصدر منه أحد الثلاثة فوجب أن لا يحل دمه وخلاصة القول أن المسألة خلافية بين الفقهاء وإن كنت أرى أن القول الثانى أقرب إلى الصواب أى أن الساحر يسأل عن سحره فإن ظهر منه ما هو كفر فهو كالمرتد يستتاب فإن أصر على سحره قتل وإن ظهر منه تجويز تغيير الأشكال عند قراءة تلك الأساطير وعلم أنه يفعل محرماً فيجب أن يعزر .

هذا حكم الساحر المسلم أما إذا كان الساحر ذمياً فقد اختلفت فيه كلمة الفقهاء كذلك فقد قال بعضهم إن ساحر أهل الكتاب لا يقتل حداً إذا كان له عهد واستدلوا بحديث عائشة فى شأن سحره -صلى الله عليه وسلم- بواسطة لبيد ابن الأعصم وأنه -صلى الله عليه وسلم- لم يقتله وأما حديث جندب (حد الساحر ضربة بالسيف) ففى سنده ضعف ولو ثبت، لخص منه من له عهد قال ابن حجر : قال ابن بطال: لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهرى إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبى حنيفة والشافعى وعن مالك إن أدخل بسحره ضرراً على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله، وإنما لم يقتل النبى صلى الله عليه وسلم لبيد بن الأعصم لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولأنه خشى إن قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار، وهو

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الديات باب قول الله (إن النفس بالنفس) ٢٩/١٢ ومسلم فى كتاب القسامة باب ما يباح من دم المسلم ١٣٠٥/٢٥/٣ والنسائى فى كتاب تحريم الدم باب ذكر ما يحل من دم المسلم ٧٦٥/٣ والترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ٢١٠/٤ .

من نمط ما راعاه من ترك قتال المنافقين سواء كان لبيد يهودياً أو منافقاً[١] .

هل يجوز تعلم السحر وتعليمه ؟

يرى الإمام الرازى رحمه الله أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور حيث قال: اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف وأيضا لعموم قوله تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب ، وما يتوقف عليه الواجب فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجبا كيف يكون حراما وقبيحا[٢] .

ويرى الجمهور أن تعلمه حرام وكذلك تعليمه إلا لضرورة شرعية تقتضيه وأجابوا على ما قال الرازى بما يأتى : قال الإمام الألوسى بعد أن نقل كلام الرازى السابق : والحق عندى الحرمة تبعاً للجمهور إلا لداع شرعى ، وفيما قاله رحمه الله نظر ، أما أولاً : فلأنا لا ندعى أنه قبيح لذاته وإنما قبحه باعتبار ما يترتب عليه فتحريمه من باب سد الذرائع .

وأما ثانياً : فلأن توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع، ألا ترى أن أكثر العلماء -أو كلهم- إلا النادر عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر.. ولو كان تعلمه واجبا لذلك لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول مع أنهم لم ينقل عنهم شىء من ذلك أفتراهم أخلوا بهذا الواجب وأتى به هذا القائل أو أنه أخل به كما أخلوا .

وأما ثالثاً : فلأن ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن افتاء المفتى بوجوب القول أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه - على ما ذكره العلامة ابن حجر - إن شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه يقتل غالباً قتل الساحر وإلا فلا[١] وقريبا من هذا قال العلامة ابن كثير رحمه الله[٢] .

* * *

(١) فتح البارى ١٠/٢٤٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ١/٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١) روح المعانى ١/٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٢١٦ .

هل يجوز حل السحر

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذه المسألة فأجاز ذلك سعيد بن المسيب ، فقد ذكر البخارى أن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته- أيُحَلّ عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح. فأما ما ينفع فلم ينه عنه . قال ابن حجر ويوافق قول سعيد بن المسيب ما جاء به فى باب الرقية فى حديث جابر عند مسلم مرفوعاً : (من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل)[١]

وقد كره هذا الحسن وقال : لا يعلم ذلك إلا ساحر وابن الجوزى وقال النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ، قال ابن حجر وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال : لا بأس به . قال وهو المعتمد .. ويختلف الحكم باختلاف القصد فمن قصد خيراً كان خيراً وإلا فهو شر[٢] قلت : لكن يشترط مع حسن القصد فى الرقية شروط ثلاثة ذكرها ابن حجر رحمه الله فى الفتح فقال : وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربى . أو بما يعرف معناه من غيره وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى .

قال : واختلفوا فى كونها شرطاً والراجح أنه لابد من اعتبار الشروط المذكورة ففى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال : كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا : يا رسول الله كيف ترى فى ذلك ؟ قال : اعرضوا على رقاكم. لا بأس بالرقية ما لم يكن فيه شرك[٣] ، قال وله من حديث جابر : نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا : يا رسول اللـــــه إنه كانت

(١) أخرجه مسلم فى كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ج١٤/١٥٣ حديث ٥٦٨١ .

(٢) الفتح ١٠/٢٤٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب السلام باب استحباب ما لم يكن فيه شرك ج١٤/٥٣ حديث رقم ٥٦٨٦ .

عندنا رقية نرقى بها من العقرب قال : فعرضوا عليه فقال : ما أرى بأساً من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه)[١] قال : وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها ، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدى إلى الشرك يمنع ، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدى إلى الشرك فيمنع احتياطاً والشرط الآخر لابد منه ، وقال قوم لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة كما فى حديث عمران بن حصين (لا رقية من عين أو حمة)[٢] ، قال وأجيب بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك لاشتراكها فى كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسى أو جنى..)[٣].

وقال أيضاً : قال ابن القيم : من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذى هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب فى المانعة من إصابة السحر له قال : وسلطان تأثير السحر هو فى القلوب الضعيفة ، ولهذا غالب ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها ، قال ابن حجر ويعكر عليه حديث عائشة فى شأن سحره -صلى الله عليه وسلم- مع عظيم مقامه ، وصدق توجهه ، وملازمة ورده ، ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذى ذكره محمول على الغالب وأن ما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك والله أعلم[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ج١٤/١٥٣ حديث ٥٦٨١ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الطب باب من اكتوى أو كوى غيره-الفتح ١٦٣/٠١، ١٦٤ .

(٣) الفتح ٢٠٦/١٠ .

(٤) الفتح ٢٤٦/١٠ .

حقيقة ما نسب إلى هاروت وماروت

ذكر المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر...) الآية. قصة فى ذلك عن ابن عباس وغيره قالوا: إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن إدريس عليه السلام عيروهم وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم فى الأرض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى : لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا، قالوا : سبحانك ، ما كان ينبغى لنا أن نعصيك. قال الله تعالى : فاختاروا ملكين من خياركما أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، وكان اسم هاروت عز وماروت عزايا فغيرا اسمهما لما قارفا الذنب ، وركب الله فيهما الشهوة، وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر ، فكانا يقضيان بين الناس يومهما ، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا ، وقيل بل افتتنا فى أول يوم وذلك أنه اختصمت إليهما امرأة يقال لها الزهرة، وكانت من أجمل أهل فارس، وقيل : كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما، فقال أحدهما لصاحبه: هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى ، قال : نعم ، فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ، ثم عادت فى اليوم التالى ففعلا مثل ذلك، فأبت وقالت: لا إلا أن تعبدا هذا الصنم ، وتقتلا النفس ، وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها ، فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر، وفى أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم ، وأهون هذه الثلاثة شرب الخمر، فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما إنسان فقتلاه خوف الفضيحة، وقيل : إنهما سجدا للصنم .

وقيل : جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر : هل وقع فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى؟ قال : نعم ، قال : هل لك إلى أن تقضى لها على زوجها؟ قال له صاحبه :

أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ قال : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة ؟ فسألاها نفسها فقالت : لا ، إلا أن تقضيا لى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت: لا ، إلا أن تقتلاه، فقال أحدهما لصاحبه : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة؟ فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت: لا ، إلا أن لى صنما أعبده ، إن أنتما صليتما معى عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فرد عليه مثله ، فصليا معها عنده فمسخت شهاباً. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قالت لهما : لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به إلى السماء فقالا: اسم الله الأكبر، قالت: فما أنتما بمدركى حتى تعلمانى إياه فقال أحدهما للآخر فأين رحمة الله؟ فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى أقسم الله بها فقال: (فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس) والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً. قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما، فقصدا إدريس النبى عليه السلام ، وأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقالا له : رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدريس فخيرهما الله عز وجل بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذبان. قيل : إنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة ، وقيل : إنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد، وقيل : إن رجلاً قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما، مزرقة عيونهما ، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا مقدار أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله ، فقالا : لا إله إلا الله ، فلما سمعا كلامه قال: لا إله إلا الله، من أنت؟ قال رجل من الناس، فقالا : من أى أمة أنت؟ قال: من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- قالا : أوقد بعث محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: نعم، فقالا : الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل : مم استبشاركما؟ قالا: إنه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا) .

قلت : هذه الروايات الواردة فى شأن هاروت وماروت قد أوردها الإمام الطبرى فى تفسيره والسيوطى فى الدر المنثور كلاهما عند تفسير هذه الآية الكريمة، وهذه الأقوال موقوفة على الصحابة أو التابعين كعبد الله بن عباس وابن مسعود وعلى بن أبى طالب وابن عمر وكعب الأحبار والسدى والربيع بن أنس ومجاهد من طرق قوية إلى هؤلاء أحياناً أو ضعيفة أخرى، ولم يأت شىء فى هذه المسألة صحيح النسبة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل كل ما ورد فى هذا مرفوعاً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ضعيف سنداً، أو صحيح سنداً لكنه موقوف على كعب الأحبار فقد جاء عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع ، انظر هل طلعت الحمراء ؟ قلت : لا ، مرتين أو ثلاثاً، ثم قلت: قد طلعت ، قال : لا مرحباً، ولا أهلاً، قلت : سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع! قال : ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: قال لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : إن الملائكة قالت: يارب كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب؟ قال: إنى ابتليتهم وعافيتكم، قالوا : لو كنا مكانهم ما عصيناك! قال: فاختاروا ملكين منكم، قال: فلم يألوا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت .

فهذا الحديث قد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ١/١٦٧، ١٦٨ عن عبد الكريم بن الهيثم حدثنا سنيد بن داود حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع به ثم قال: هذا حديث لا يصح والفرج بن فضالة قد ضعفه يحيى ، وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا يحل الاحتجاج به ، وأما سنيد فقد ضعفه أبو داود وقال النسائى: ليس بثقة، وأورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/٨٢ ثم ذكر قول ابن الجوزى السابق ثم قال: قلت: قال الحافظ ابن حجر فى القول المسدد : قد أخرجه أحمد(١) وابن حبان فى صحيحه(٢) من طريق زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر وبين سياق معاوية ابن صالح وسياق زهير تفاوت ، وله طرق كثيرة جمعتها فى جزء مفرد يكاد الواقف عليه يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها. انتهى .

قال السيوطى : وقد وقفت على الجزء الذى جمعه فوجدته

---

(١) المسند ٢/١٣٤ .

(٢) ابن حبان فى صحيحه ١/ ٦٣ - ٦٦ .

أورد فيه بضعة عشر طريقاً، أكثرها موقوف وأكثرها عن ابن جرير، وقد جمعت أنا طرقها فى التفسير المسند وفى التفسير المأثور فجاءت نيفاً وعشرين طريقاً ما بين مرفوع وموقوف، ولحديث ابن عمر بخصوصه طرق متعددة من رواية نافع وسالم ومجاهد وسعيد بن جبير عنه، وورد من رواية على بن أبى طالب وابن عباس وابن مسعود وعائشة وغيرهم والله أعلم ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الأشربة - باب ما جاء فى الخمر ومن يشربها وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح خلا موسى بن جبير وهو ثقة ٦٨/٥ وأورده فى كتاب التفسير - تفسير سورة هود - وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣١٣/٦ ، ٣١٤ وأخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب التفسير بنحوه عن عمير بن سعد النخعى قال: سمعت عليا يخبر القوم: إن هذه الزهرة تسميها العرب زهرة، وتسميها العجم (أناهيد) وكان الملكان يحكمان الناس فأتتهما امرأة فأرادها كل واحد منهما من غير علم صاحبه، فقال أحدهما لصاحبه: يا أخى إن فى نفسى بعض الأمر أريد أن أذكره لك ، قال : أذكره يا أخى ، لعل الذى فى نفسى مثل الذى فى نفسك، فاتفقا على أمر فى ذلك فقالت لهما المرأة : ألا تخبرانى بما تصعدان به إلى السماء وبما تهبطان به إلى الأرض فقالا : باسم الله الأعظم وبه نصعد فقالت: ما أنا بمواتيتكما الذى تريدان حتى تعلمانيه ، فقال أحدهما لصاحبه علمها إياه ، فقال: كيف لنا بشدة عذاب الله فقال الآخر: إنا نرجو سعة رحمة الله ، فعلمها إياه فتكلمت به فطارت إلى السماء ، ففزع ملك فى السماء لصعودها ، فطأطأ رأسه فلم يجلس بعد فمسخها الله فكانت كوكبا، وقال: هذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى ٢٦٥/٢ ، وأورده البيهقى فى شعب الإيمان بنحوه[١] وقال : وروياه من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر موقوفا عليه وهو أصح فإن ابن عمر إنما أخذه من كعب ثم ساق رواية ابن عمر عن كعب ثم قال : وهذا أشبه أن يكون محفوظا وأورده بنحوه فى السنن[٢] أيضا من طريق أحمد مرفوعا ثم قال : تفرد به زهير بن محمد عن موسى بن جبير ورواه موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن كعب قال : ذكرت الملائكة بعض أعمال بنى آدم .. فذكره بنحوه ، قلت : فالرواية المرفوع منها إلى رسول

---

(١) شعب الإيمان باب فى الإيمان بالملائكة فصل فى معرفة الملائكة ١٨٠/١ - ١٨.

(٢) السنن الكبرى كتاب الضحايا باب النهى عن التداوى بالمسكر ١٠ / ٥-٦ .

الله -صلى الله عليه وسلم- له طريقان :

الأول : من طريق الحسين (سنيد بن داود) حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وسنيد والفرج بن فضالة متكلم فيهما على نحو ما سبق من كلام الأئمة .

والثانى : من طريق يحيى بن أبى بكير ثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر يرفعه وموسى بن جبير متكلم فيه حتى قال الحافظ ابن حجر عنه فى التقريب مستور[١] ص٥٥٠ وقال عنه فى التهذيب : وذكره ابن حبان فى الثقات وكان يخطئ ويخالف وقال ابن القطان لا يعرف حاله[٢] وزهير بن محمد هو التميمى مختلف فيه أيضا حتى قال عنه الحافظ فى التقريب رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها وقال فى التهذيب: ما روى عن أهل الشام فإنه مناكير وما روى عن أهل البصرة فإنه صحيح[٣] ، وضعفه النسائى، وقال أبو أحمد الحاكم فى حديثه بعض المناكير، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يخطئ ويخالف، ووثقه أحمد فى رواية ووثقه ابن معين[٤] .

قال ابن كثير فى تفسيره (بعد أن ساق رواية الإمام أحمد) وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه عن الحسن عن سفيان عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن بكير به ثم قال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو الأنصارى السلمى مولاهم المدينى الحذاء ثم قال : ذكره ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئا من هذا ولا هذا فهو مستور الحال، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال ابن كثير وروى له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا هشام بن على بن هشام حدثنا عبد الله بن

---

(١) التقريب ص٥٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٠٣/١٠ .

(٣) التقريب ص٢١٧ .

(٤) التهذيب ٣٠٨/٢ ، ٣٠٩ .

رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبى -صلى الله عليه وسلم- فذكره بطوله، ثم ذكر الحافظ رواية ابن جرير من طريق سنيد ثم عقب عليهما بقوله : وهذا أيضاً غريب جداً، وأقرب ما يكون أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب لأحبار لا عن النبى -صلى الله عليه وسلم- كما قال عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن عثمان بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال: ذكرت الملائكة أعمال بنى آدم وما يأتون من الذنوب فذكره ثم قال: رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ، ورواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن عصام عن مؤمل عن سفيان الثورى به ، ورواه ابن جرير أيضاً حدثنى المثنى أخبرنا المعلى هو ابن أسيد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثنى سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب فذكره قال: فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين ، وسالم أثبت فى أبيه من مولاه نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بنى إسرائيل والله أعلم[1] ثم تناول رحمه الله الروايات الواردة عن الصحابة والتابعين -رضى الله عنهم- فى هذا الشأن فانتقدها واحداً واحداً ثم قال : وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن البصرى وقتادة وأبى العالية والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حبان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى بنى إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال[2] .

قلت : وقول الإمام ابن حجر فى القول المسدد بأن للحديث طرقاً كثيرة جمعتها يكاد الواقف يقطع بصحة هذه القصة.. إلخ، وقوله فى الفتح وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر فى مسند أحمد وأطنب الطبرى فى إيراد طرقها بحيث

(١) ابن كثير ١٣٢/١ .

(٢) ابن كثير ١٣٥/١ طبقة دار الحديث القاهرة .

يقضى بمجموعها على أن للقصة أصلاً، خلافاً لمن زعم بطلانها كعياض ومن تبعه ، يجاب عنه بما قال العلامة الشيخ / أحمد شاكر فى تعليقه على المسند ٦١٧٨ حيث قال: أما هذا الذى جزم به الحافظ من صحة وقوع هذه القصة صحة قريبة من القطع بكثرة طرقها وقوة مخارج أكثرها فلا، لأنها كلها طرق معلولة أو واهية إضافة إلى مخالفته الواضحة للعقل، لا من جهة عصمة الملائكة القطعية فقط، بل من ناحية أن الكوكب الذى نراه صغيراً فى عين الناظر قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف من الأضعاف فأنى يكون جسم المرأة الصغير إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة[1] .

من كل ما سبق يتبين لنا أن الصواب فى هذه المسألة أنه لم يرد فيها نص صحيح مرفوع إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- كما صرح به البيهقى وابن كثير والبراز - على ما سبق بيانه- وتبعهم فى هذا الشيخ شعيب الأرنؤوط والشيخ الألبانى وإنما هو موقوف على كعب الأحبار ولا ينبغى أن نأخذ فى هذه المسألة بقول تطرق إليه الاحتمال فى رفعه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا سيما وأنها تتعلق بالملائكة الكرام الذين أثنى الله عليهم فى أكثر من موضع من كتابه الكريم حيث قال تعالى فى شأنهم **(لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون)** (الأنبياء الآية ١٩ ، ٢٠) وقال عنهم أيضاً : **(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)**(الأنبياء آية ٢٦ ، ٢٧) وأيضاً : **(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)** (التحريم الآية ٦) .

ولعل هذه المسألة من الأمور التى لا يليق بالمرء أن يقحم نفسه بالكلام فيها بدون نص صريح من القرآن ، أو نص مقطوع بصحته عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد رد هذه القصة أيضاً العلامة الألوسى رحمه الله تعالى فقال: (هذه الآثار التى بلغت طرقها نيفا وعشرين فقد أنكرها جماعة منهم القاضى عياض ، وذكر أن ما نقله أهل الأخبار ونقله المفسرون فى قصة هاروت وماروت لم يرد منه شىء - لا سقيم ولا صحيح - عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس هو شيئا يؤخذ بالقياس، وذكر فى البحر أن جميع ذلك لا يصح منه شىء، ولم يصح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يلعن الزهرة، ولا ابن عمر -رضى الله تعالى عنهما- خلافا لمن رواه وقال الإمام الرازى بعد أن ذكر الرواية فى ذلك: إن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة ، ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما

(١) الفتح ٢٣٥/١٠ عند شرحه لأحاديث السحر من كتاب الطب .

مع الزهرة فهو كافر بالله تعالى العظيم، فإن الملائكة معصومون **(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)** (الأنبياء : ١٩) **(لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون)** (الأنبياء : ٢٠) ، **(يسبحون الليل والنهار لا يفترون)** والزهرة كانت يوم خلق الله السموات والأرض ، والقول بأنها تمثلت لهما فكان ما كان وردت إلى مكانها غير معقول ولا مقبول، واعترض الإمام السيوطى على من أنكر القصة بأن الإمام أحمد وابن حبان والبيهقى وغيرهم رووها مرفوعة وموقوفة على على وابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم بأسانيد عديدة صحيحة يكاد الواقف يقطع بصحتها لكثرتها وقوة مخرجيها، وذهب بعض المحققين أن ماروى مروى حكاية لما قاله اليهود هو باطل في نفسه - وبطلانه فى نفسه لا ينافى صحة الرواية ولا يرد ما قاله الإمام السيوطى عليه ، إنما يرد على المنكرين بالكلية.. ثم قال : هذا ومن قال بصحة هذه القصة في نفس الأمر، وحملها على ظاهرها فقد ركب شططا، وقال غلطا، وفتح بابا من السحر يضحك الموتى، ويبكى الأحياء، وينكس راية الإسلام، ويرفع رءوس الكفرة الطغام كما لا يخفى ذلك على المنصفين من العلماء المحققين[١] .

وإذا كانت هذه القصة لم تأت من طريق صحيح إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما هي موقوفة على كعب الأحبار نقلا عن اليهود كما صرح بهذا الإمام القاسمى في تفسيره حيث قال (وهذه القصة من اختلاق اليهود وتقولاتهم، ولم يقل بها القرآن قط، وإنما ذكرها التلمود، كما يعلم بذلك من مراجعة ، مدارس يكوت) فى الاصحاح الثالث والثلاثين وجاراه فى ذلك جهلة القصاص من المسلمين فأخذوها منه[٢] .

هذا عن حال سند هذه القصة أما المتن فضعيف جداً من وجوه ذكرها الإمام الفخر الرازى في تفسيره حيث قال :

وإعلم أن هذه الرواية فاسدة من وجوه :

الأول : ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصى .

وثانيها : أن قولهم إنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاسد، بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب، لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك به طول عمره فكيف يبخل عليهما بذلك ؟

وثالثها : أن من أعجب الأمور قولهم : إنهما يعلمان السحر فى حال كونهما معذبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان[٣] .

---

(١) روح المعانى ٥٣٨/١ وما بعدها بتصرف يسير .

(٢) التفسير القاسمى ٢١٢/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢٣٧/١ ، ٢٣٨ .

ويقول الإمام الخازن رحمه الله فى بيان ضعف هذه القصة أيضاً (.. ومعنى الآية : وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم ثم قال : وهذه القصة باطلة من وجوه :

الأول : أن فى هذه القصة أن الله تعالى قال للملائكة : **(لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نعصيك)** وفيه رد على الله تعالى، وذلك كفر، وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم .

الوجه الثانى : أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشرك ، وإن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما .

الوجه الثالث : أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها وأقسم بها فى قوله : **(فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس)** التكوير الآية ١٥ ، ١٦ .

قال : فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة[١] وبهذا يتبين لنا ضعف هذه القصة سندا ومتنا وإذا كان الأمر كذلك فما هو التفسير الصحيح للآية إذن .

قلت : حاصل تفسيرها صحيح - فيما أرى - على نحوين :

أحدها : أنه لم يكن ثم ملكين من الملائكة أنزل عليهما سحر أصلاً، وإنما هذه من شائعات اليهود قال القرطبى رحمه الله : قوله تعالى : **(وما أنزل على الملكين)** ما نفى والواو للعطف على قوله **(وما كفر سليمان)** وذلك أن اليهود قالوا: أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وفى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فهاروت وماروت بدل من الشياطين فى قوله (ولكن الشياطين كفروا) ثم قال : وهذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها ، ولا يلتفت إلى ما

---

(١) الخازن بالبغوى ٩١/١ .

سواه فالسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ، ودقة أفهامهم)[١].

وقد اعترض الإمام الألوسى على هذا الرأى وتعجب منه ثم قال: ولا يخفى لدى كل منصف أنه لا ينبغى لمؤمن حمل كلام الله تعالى - وهو فى أعلى مراتب البلاغة والفصاحة - على ما هو أدنى من ذلك ، وما هو إلا مسخ لكتاب الله عز شأنه بإهباط له عن شأوه، ومفاسد قلة البضاعة لا تحصى[٢] ومثله فعل العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى .

قلت : يجاب عن هذا الاعتراض بما قاله فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور / ابراهيم خليفة حفظه الله حيث قال :

والرأى عندى أن قول القرطبى فى غاية من الوجاهة مع بعض التعديل فى الصناعة يجعله بمنجى من كل هذه الاعتراضات وذلك بأن يكون هاروت وماروت بدلاً من (الواو) فى يعلمون العائد إلى الشياطين وأن تكون الواو فى قوله (وما أنزل على الملكين) للحال لا للعطف وبحيث لا يقتضى ذلك تقديماً من تأخيركما قاله القرطبى، وبحيث يكون المعنى على هذا النحو، يعلمون الناس السحر والحال أن هذا السحر ما أنزل على الملكين ببابل أى كما يزعم اليهود، وصح إبدال هاروت وماروت مع أنهما اثنان من واو الجمع ، أو من الشياطين إما باعتبار كون هاروت وماروت فريقين من الشياطين ، وإما باعتبار أنهما قد بلغا من الفساد -بسبب تعليم السحر- حداً يجعله كأنه عمل كل الشياطين .

ثانى الوجهين من هذا النحو : أن يكون الملكان على التشبيه بالاستعارة التصريحية الأصلية بأن يكون المراد رجلين صالحين قد بلغا من الصلاح حداً ينزلهما منزلة الملائكة، ويؤيده القراءة الشاذة (الملكين) بكسر اللام قال العلامة الآلوسى (وقرأ ابن عباس والحسن وأبو الأسود والضحاك) الملكين بكسر اللام حمل بعضهم قراءة الفتح

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٤٧/١ .

(٢) روح المعانى ٣٤٠/٢ .

على ذلك فقال : هما رجلان إلا أنهما سميا ملكين باعتبار صلاحهما[١] .

ويؤيد هذا ما قيل أنهما رجلان صاحبا وقار وسمت فشبها بالملائكة وكان يؤمهما الناس فى حوائجهم ، ويجلونهما أشد الإجلال، فشبها بالملائكة ، وتلك عادة الناس فيمن ينفرد بالصفات المحمودة بقول : هذا ملك وليس بإنسان ، وكما يقولون فى جميل الخلقة، حسن السمت، هذا ملك وليس ببشر ، كما قال النسوة عن يوسف عليه السلام **(وقلن حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)** ويقولون كذلك فيمن كان سيداً عزيزاً يظهر الغنى عن الناس مع حاجتهم إليه ، (هذا سلطان زمانه) كان الناس على عهد هاروت وماروت على مثلهم اليوم لا يقصدون أحداً للفصل فى شئونهم الأهلية إلا أهل السمت والوقار اللابسين لباس الصلاح والتقوى، هذا ما نشاهدهم عليه فى زماننا ، وهذا ما حكى الله تعالى عنهم فى زمانهم القديم، و يمكن أن يكون الله عز وجل سماهما ملكين بفتح اللام على حسب اعتقاد الناس فيهما ...

وعلى هذا لا يكون الإنزال فى الآية بمعنى الوحى من الله إلى الأنبياء فيشكل عده من الشر بالباطل الذى يذم تعلمه فإن كلمة (أنزل) تستعمل فى مواضع لا صلة بينها وبين وحى الأنبياء، فيقال مثلاً أنزلت حاجتى على كريم ، وأنزل لى عن هذه الأبيات، وكما فى قوله تعالى: **(وأنزلنا الحديد)**[١] .

(١) الآلوسى ١ /٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(١) سورة الحديد الآية ٢٥ .

وقال : **(ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)**[١] ولعل التعبير عما أوتياه من العلم بالإنزال لأنه لم يكن يعرف له مأخذ غيرهما، يراد أنهما ألهماه إلهاماً، واهتديا إليه من غير أستاذ ولا معلم، ويصح أن يسمى مثل هذا وحياً لخفاء منبعه، وليس الوحى وإلهام الخواطر خاصاً فى عرف اللغة ولا عرف القرآن بالأنبياء ولا بما يكون موضوعه خيراً أو حقاً قال تعالى : **(وأوحى ربك إلى النحل)**[٢] وقال : **(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)**[٣] وقال : **(وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)**[٤] قلت وعليه فالوحى هنا بمعنى الإلهام لهذين الرجلين بأن يتصديا لبث خفايا السحر بين المتعلمين وكشف دقائق هذا الفن للناس حتى يشتركوا جميعاً فى العلم به فيعلم الأخيار أن السحرة ليسوا على جانب من الخير والصلاح فيرجع الناس بذلك إلى صلاح الحال وقريب من هذا ما ذكره العلامة القاسمى فى تفسيره : (والذى ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى فى بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله، وبلغ مكر هذين الرجلين ، ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما (إنما نحن فتنة فلا تكفر) أى إنما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك، أتشكر أم تكفر، وتنصح لك أن لا تكفر يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية وصناعتهما روحانية ، وأنهما لا يقصدان إلا الخير ، كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان، قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها إلى

(١) سورة التوبة الآية ٢٦ .

(٢) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٣) سورة القصص الآية ٧ .

(٤) تفسير المنار بتصرف ١ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

غير ذلك من الأوهام والافتراء.. فما هنا نافية على أصح الأقوال ولفظ (الملكين) هنا وارد على حسب العرف الجارى بين الناس فى ذلك الوقت..)[١] .

ثانى النحوين : أن يكون هناك ملكان أنزل عليهما سحر بالفعل لكن لا كما جاء فى هذه القصة من عصيان الملكين وظلمهما وكفرهما وانقلاب المرأة كوكباً وما إلى ذلك بل لإظهار الحق من الباطل، وبيان الرشد المتمثل فى بيان الفرق بين المعجزة والسحر وفى هذا يقول الإمام الفخر الرازى :

والجواب ليس الأمر كما يقال فى تلك القصة الخبيثة ، بل الحكمة فى إنزالهما: أن السحرة كانوا يتلقفون الغيب من الشياطين وكانوا يلقونها فيما بين الخلق، وكان ذلك تشبيهاً بالوحى النازل على الأنبياء عليهم السلام فالله تعالى أمرهما بالنزول إلى الأرض حتى يعلما كيفية السحر للناس، حتى يظهر بذلك الفرق بين كلام الأنبياء وكلام السحرة وإليه الإشارة فى قوله تعالى حكاية عنهما (إنما نحن فتنة فلا تكفر) أى نحن إنما نعلمكم السحر لتتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر فلا ينبغى أن تستعملوا هذا السحر فى أغراضكم الباطلة فإنكم إن فعلتم ذلك كفرتم .

قال : والحاصل : أنه تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق والباطل والمعجزة والسحر، والجهال قلبوا القصة، وجعلوا ذلك سبباً للطعن فى هذين المعصومين وذلك جهل عظيم[٢] .

(١) تفسير القاسمى ١/٢١٠ بتصرف يسير .

(٢) الأربعين فى أصول الدين ج٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ .

قلت : وهذا القول وإن ذكره عدد من المفسرين لكن يمكن أن يعترض عليه بأن القرآن قد صرح فى غير موضع بعدم نزول الملائكة إلى الأرض إلى الناس بمثل ما حكى أصحاب هذا القول خذ مثلاً قوله تعالى : **(وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)**[١] ومثلاً **(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون)**[٢] وفى سورة الفرقان **(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً)** إلى أن يقول **(فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً)**[٣] .

وإذن فالراجح من وجهة نظرى والله أعلم هو التوجيه الأول أما التوجيه الثانى فيمكن الاعتراض عليه بمثل ما سبق حيث لم ينزل الملائكة إلى الأرض إلى كل الناس بل إلى الأنبياء والمرسلين فقط ولا قائل بغير هذا فيما أعلم ، والله أعلم .

---

(١) الأنبياء الآية ٧ .

(٢) الأنعام الآية ٨ .

(٣) الفرقان الآية ٧ - ٩ .

وفى الختام يحسن أن نبين معنى الآية على وجه الإجمال فنقول وبالله التوفيق:

إن هذه الآية تأتى بعد أن بين الله تعالى لنا فى الآية السابقة عليها أن اليهود نبذوا كتابه الذى أنزله على نبيه موسى عليه السلام تجاهلاً منهم وكفراً بما هم على يقين من صدقه وكأنهم لا يعلمون، ثم لم يلبثوا أن أضافوا إلى هذه الجريمة جريمة أخرى - وهى ما ذكره الله تعالى فى هذه الآية الكريمة - وهى أن القوم كما نبذوا التوراة نبذوا القرآن الكريم الذى جاء مصدقاً لما فى التوراة . وذلك على سبيل الاستكبار والعناد والحسد كأنهم لا يعلمون أنه الكتاب الحق الذى أنزله الله تعالى على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- واتبعوا بدل هذا وذاك طرق السحر والشعوذة والتى كانت تحدثهم بها الشياطين زاعمين أن سليمان -عليه السلام- ما كان يحكم إلا بهما، والحق أن سليمان عليه السلام ما كان ساحراً أبداً كيف وهو النبى الرسول الذى يدرك أول ما يدرك أن الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء بحيث لا يقع فى ملكه إلا ما أراد جل فى علاه فهل يعقل بعد هذا أن يلجأ إلى غير الله تعالى فى تحقيق ما يريد لا سيما إذا كان الذى سيلجأ إليه إنما هم الشياطين، إن سليمان عليه السلام برئ من كل هذا بحكم إيمانه بالله تعالى أولاً وبمقتضى العصمة التى قضى الله بها لأنبيائه ورسله ثانياً ، والحق أن الشياطين هم الذين وسوسوا إلى الناس وألقوا فى روعهم أنهم على علم بالغيب وعلموهم السحر حتى انتشر هذا السحر والحال أنه ما أنزل على الملكين قط هذا أول ما أرى أن يحمل عليه قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أو أن يكون هاروت وماروت رجلين صالحين أو متظاهرين بالصلاح وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان وأن ما يعلمانه للناس إنما هو وحى من السماء ويكون التعبير عما أوتياه من العلم بالإنزال لأنه لم يكن يعرف له مأخذ غيرهما أو لكونهما اهتديا إليه من غير معلم ويصح أن يسمى مثل هذا وحياً لخفاء منبعه .

أقول : أياً ما كان الأمر فإنهما كانا يعلمان الناس السحر ويقولان

لهم على سبيل النصيحة أو على سبيل الخداع والتمويه مبالغة فى كتمان أمرهما حتى لا يفتضحا بين الناس (إنما نحن فتنة فلا تكفر) .

هذا وقد كثر السحر بين الناس فى هذا الزمان وأتى السحرة بأشياء عجيبة منها التفريق بين الرجل وزوجه والصديق وصديقه وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهؤلاء الذين يفعلون هذا خسروا الدنيا والآخرة لأن من جرد نفسه لهذه الأعمال الخبيثة ليس له فى الآخرة من نصيب ولبئس ما باعوا به أنفسهم لو كان لديهم فهم وإدراك والله أعلم .

ومن أجل هذا حرم الإسلام السحر واعتبره من الموبقات ألا ما أحوج أمتنا إلى أن تتنبه إلى خطورة هذا الأمر على عقيدتها حتى لا تقع فى مستنقعه والذى كثيراً ما تطالعنا الصحف عن أخبار هؤلاء الدجالين والمشعوذين الذين يلجأ إليهم كثير من الناس فى حل مشاكلهم بمختلف أنواعها بدلاً من أن يلجأوا إلى الله تعالى لدرجة أن هؤلاء المساكين بمختلف طبقاتهم وثقافاتهم يعتقدون أن لهؤلاء المشعوذين قدرة على تحقيق آمالهم وأحلامهم ورغباتهم ودرء الضر عنهم وبالتالى تنقطع قلوبهم عن التعلق بالله تعالى وهذا من أخطر ما يكون على دين المرء .

ألا ما أحوج أمتنا إلى جهود العلماء المخلصين الذين يتصدرون مجال الدعوة فى المساجد وغيرها كوسائل الإعلام إلى بيان خطورة هذا الصنيع للناس حتى لا يقعوا فى مستنقعه وذلك بيان ما يدعوهم إلى تقوية ثقتهم بالله تعالى وحسن توكلهم عليه فى كل أمور حياتهم والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والله أعلم .

أهم المراجع

كتب التفسير وعلوم القرآن :

- أحكام القرآن لابن العربى – دار الجيل بيروت لبنان – بدون تاريخ .
- البحر المحيط لأبى حيان الغرناطى الأندلسى طبعة دار احياء التراث العربى – بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
- التحرير والتنوير لابن عاشور – طبعة الدار التونسية بدون تاريخ .
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير طبعة دار احياء الكتب العربية – فيصل – عيسى البابى الحلبى بدون تاريخ .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازى .
- تفسير القاسمى محاسن التأويل .
- جامع البيان للطبرى .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى – طبعة دار الغد العربى – الخامسة ١٩٨٨م _ ١٤٠٩هـ .
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى .
- فتح القدير للإمام الشوكانى طبعة مصطفى البابى الحلبى الثانية ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

ثانياً : كتب السنة :

- سنن الترمذى طبعة دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- سنن النسائى طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- شرح الإمام النووى لمسلم – مكتبة الدعوة بدون تاريخ .

- فتح البارى شرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى الطبعة الثالثة دار المطبعة السلفية ١٤٠٧هـ .

كتب التراجم :

- تقريب التهذيب لابن حجر طبعة دار الرشيد الثالثة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- تهذيب التهذيب لابن حجر طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

ومن كتب العقيدة :

- الأربعين فى أصول الدين للرازى .

ومن كتب الفقه :

- المغنى لابن قدامة طبعة دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

ومن كتب اللغة :

- لسان العرب لابن منظور الطبعة الثانية بيروت بدون تاريخ .

* * *